العنوان:	أثر مباحث الحديث فى العلوم الأخرى
المصدر:	مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت
المؤلف الرئيسي:	العيسى، رياض
المجلد/العدد:	س51, ع586
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	أبريل
الصفحات:	36 - 37
رقم MD:	671958
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	العلوم الإسلامية، علم الحديث
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/671958

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أثر مباحث الحديث في العلوم الأخرى

رياض العيسى
باحث دراسات إسلامية

ما من علم من العلوم الإسلامية إلا وله من أثر علم الحديث حظ معلوم (١)، ذلك لأنه مما هو معلوم عند العقلاء أن «المنقولات فيها كثير من الصدق، وكثير من الكذب. والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك. فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجل هؤلاء قدرا، وأعظمهم صدقا، وأعلاهم منزلة، وأكثرهم دينا، وهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وعلما وخبرة فيما يذكرونه عن الجرح والتعديل» (٢).

يقول الشيخ أحمد شاكر في مقدمة كتابه الباعث الحثيث: «وقد حرروا، أي علماء الحديث، القواعد التي وضعوها لقبول الحديث، وهي قواعد هذا الفن، وحققوها بأقصى ما في الوسع الإنساني احتياطا لدينهم، فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها وأدقها...، وقلدهم فيها العلماء في أكثر الفنون النقلية، فقلدهم علماء اللغة، وعلماء الأدب، وعلماء التاريخ، وغيرهم، فاجتهدوا في رواية كل نقل في علومهم بإسناده، وطبقوا قواعد هذا العلم عند إرادة التوثق من صحة النقل في أي شيء يرجع فيه إلى النقل، فهذا العلم في الحقيقة أساس لكل العلوم النقلية» (٣).

ولأهمية هذا العلم (مصطلح الحديث) أو (علوم الحديث) كان له أثر كبير على العلوم الأخرى كالتفسير والفقه واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم.

١ - أثره في علم التفسير: إن كتب التفسير تزخر بنقل أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين بأسانيدها في تفسير الآيات واستنباط الأحكام، كما فعل الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان، والإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل، والإمام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم.

ومما يمتاز به تفسير ابن كثير أنه قام بالتثبت فيما ينقله وعزوه من أحاديث النبي ﷺ وأقوال الصحابة وغيرهم، مبينا الصحيح منها من السقيم، متبعا المنهج العلمي لعلوم الحديث.

٢ - أثره في علوم القرآن: فكما أن علم الحديث وضعت له أسس ومناهج، قام بعض العلماء بوضع منهج علمي لبحث مادة القرآن الكريم، ومن بين هؤلاء بدر الدين الزركشي الذي قال في مقدمة كتابه «البرهان في علوم القرآن»: «ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن. ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث» (٤).

ويقول الإمام السيوطي في مقدمة كتابه «الإتقان في علوم القرآن»، مبينا الباعث له على التأليف في علوم القرآن: «ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين، إذ لم يدونوا كتابا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث» (٥).

٣ - أثره في الفقه الإسلامي: إن احتياج الفقيه إلى الاستدلال بما ثبت من الحديث دون ما لم يثبت، لا يتبين له إلا باستخدام قواعد علم الحديث لاستخراج الأحكام الفقهية، وهو ما عكف عليه الفقهاء الأربعة، وما درج عليه من جاء بعدهم.

وما كتاب «الموطأ» للإمام مالك، وكتاب «الأم» للإمام الشافعي، وكتاب «المسند» للإمام أحمد بن حنبل، إلا دليل على ذلك، على أن أصحاب المذاهب الأربعة قد أجمعوا كلهم على أن الحديث إذا صح يقدم على القياس والنظر، فما فيهم إمام إلا قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي. أو ما يشبه العبارة (٦).

٤ - أثره في اللغة والأدب: ولم يقف أثر علوم الحديث على العلوم الشرعية فقط، بل تعداها إلى أدوات العلوم الشرعية، ومنها علوم اللغة والأدب العربي. وقد أشار بعض علماء اللغة -قديما وحديثا- في تصانيفهم إلى أنهم اتبعوا ترتيبها كترتيب المحدثين في كتبهم، ومن هؤلاء المتقدمين الإمام السيوطي، الذي قال في مقدمة كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها: «هذا علم شريف، ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنويعه وتبويبه، وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع» (٧).

وهذا ما جعل الأستاذ ناصر الدين الأسد يصرح قائلا: «ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نقول: إن المتأخرين الذين كتبوا في علوم اللغة والأدب قد احتذوا مناهج المحدثين والفقهاء، وقلدوا علوم الحديث والفقه، وذلك بعد أن نضجت علوم الحديث والفقه وأرسيت أصولهما وقواعدهما، وعبدت سبلهما وطرائقهما، وذهب فيهما في التحقيق والتدقيق -في السند والمتن- مذاهب بعيدة» (٨).

ويقول الدكتور صبحي الصالح مبينا أثر الحديث في النحو: «إن التأثير العفوي الطبيعي الذي خلفه الحديث في أصول النحو، يوم فكر القوم في وضع أوائلها، إنما رافق نشأة علم الحديث قبل أن ينضج، فليس لنا أن نبالغ فيه، ولا أن نغلو في أبعاده ومراميه.

ولكن مهما نغل في وصف ما كان للحديث من أثر في النحو وأصوله، وفي مختلف العلوم ومناهجها، نظل دون إيفاء علم الحديث حقه.

فما من تيار فكري إسلامي إلا وله من عدوى الحديث حظ معلوم، إن لم يكن فيما حمله تراث النبوة من وصايا وحكم وتعاليم ففي طرق التحمل والأداة، وشروط الرواية والرواة، ومقاييس النقد والتجريح، وأساليب التصنيف والتخريج، ومعايير الموازنة والترجيح.. فهذه كلها دخلت شواهد النحو، وسادت أبحاث اللغة، وارتفعت إلى أخبار الأدب، وتركت في الجميع أصداءها الشداد عن طريق الرواية والإسناد» (٩).

٥ - أثره في التاريخ والسير: ولمصطلح الحديث على التاريخ منة أيضا، ولعل ذلك يبدو أكثر وضوحا في كتب الطبقات والتراجم وتواريخ المدن وغيرها من كتب التاريخ. والسبب راجع -على ما يبدو- إلى أن معظم المؤرخين الأوائل محدثون، ولما كانت العناية بعلم الحديث هي التي أدت إلى الدراسات التاريخية لذلك انتقل الإسناد إلى أهل التاريخ بشكل واضح (١٠).

ومن بين هؤلاء المؤرخين، الطبري في تاريخ الرسل والملوك، وابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، وابن كثير في كتابه البداية والنهاية، والذهبي في تاريخ دول الإسلام، وغيرهم.

وقد كان لعلم الحديث أيضا وطريقته أثر عظيم في تطور كتابة التاريخ، فهذا الإمام السيوطي يؤكد أن كتابة التاريخ يراد بها: «معرفة الآجال وحلولها، وانقضاء العدد وأوقات التعاليق، ووفيات الشيوخ ومواليدهم، والرواة عنهم، فتعرف بذلك كذب الكاذبين وصدق الصادقين» (١١).

من هذا يتبين للقارئ أن «تأثير الحديث النبوي على ثقافتنا العربية يفوق كل تصور. فلقد صبغت طريقته كل فنون ثقافتنا ومعارفنا. إنك تجد طريقة السند عمت كل أنواع الكتب في مكتبتنا، من أدبية وتاريخية وغيرهما» (١٢). فعلم الحديث هو بحق أعظم ما أنتج الفكر الإسلامي في أصالته وتشعب علومه وفنونه.

الهوامش

١ - قاله الدكتور صبحي الصالح -رحمه الله تعالى- في كتابه الماتع: علوم الحديث ومصطلحه (ص: ٣٢٢).
٢ - منهاج السنة لابن تيمية (٧/٢١-٢٢).
٣ - الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (ص:١٣).
٤ - البرهان في علوم القرآن (٩/١).
٥ - الإتقان في علوم القرآن (١٩/١).
٦ - ينظر علوم الحديث ومصطلحه (ص:٣٢١-٣٢٢).
٧ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٧/١).
٨ - مصادر الشعر الجاهلي (ص:٢٥٧).
٩ - علوم الحديث ومصطلحه (ص:٣٢١-٣٢٢).
١٠ - ينظر مظاهر تأثير علم الحديث في علم التأريخ عند المسلمين للدكتور بشار عواد معروف (ص:٢٥).
١١ - الشماريخ في علم التاريخ (ص:٢٦).
١٢ - الحديث النبوي للدكتور محمد الصباغ (ص:١٦).